الحياة الطيّبة
السنة ١٥
العدد ٣٦
صيف وخريف ٢٠١٢م
أبحاث ودراسات تخصّصيّة

فلسفة التربية الدينية في الإسلام والمسيحية -دراسة مقارنة-

د. يوسف أبو خليل[1]

مدخل:

يمتاز العصر الحاليّ بمميّزات قد تكون مختلفة عمّا هو كائن في السابق؛ حيث إنّ تسميته بعصر الإيديولوجيات هي تسمية لم تأتِ من العدم، فقد غابت فيه المدارس الفلسفية الإلحادية الكبيرة كما شهدناها في العصور السالفة، في ظلّ التطوّر الهائل الذي شهدته وسائل الإعلام وانتشار العولمة الثقافية، حيث باتت عبارة القرية العالمية واقعاً معيشاً. ولكن، للأسف، بدلاً من تسخير هذه الوسائل لأهداف إنسانية وعلاقات اجتماعية متبادلة، أخذ هذا الأمر منحى معاكساً، حيث بات يشكّل عبئاً على العلاقات الإنسانية، وأصبحت وسائل الإعلام والارتباطات وسائل تحريضية تؤجّج التفرقة، ولا سيما على مستوى الأديان والطوائف المختلفة، وقد قلّت المؤتمرات، وشحّت الأقلام التي تدعو إلى نبذ الخلافات والدعوة إلى التعاون والتعاضد في ما بين أبناء البشر. ولعلّ أحداث الحادي عشر من أيلول وما تلاها من مواقف وأحداث، ولا سيما ما جرى في العراق وأفغانستان في آسيا، والأحداث التي تقع على مستوى

(١) أستاذ في الجامعة اللبنانية، من لبنان.

العالم، مثل: الأحداث الدامية التي تحدث في نيجيريا من القارة السوداء، هي عوامل أسّست بنية هذه الأرضية وعزّزتها. ولعلّ أشدّ ما نواجهه هو الدعوات التحريضيّة على الأديان، ولا سيما على المسيحية والإسلام، التي بات يهدّد هذه العلاقة بينهما؛ فمن مواقف القسّ الأمريكي تيري جونز الذي دعا إلى حرق القرآن الكريم ونفّذ ذلك، وقام بتبنّي الفيلم المسيء للرسولﷺ إلى فتاوى تدعو إلى هدم الكنائس، وهذا ما عبّر عنه مفتي السعودية عبد العزيز آل الشيخ، حيث دعا إلى هدم الكنائس في الجزيرة العربية.

بيد أنّ القيم الدينيّة الأخلاقيّة تحتّم على الجميع الدعوة إلى الحوار والتعاون؛ فقد دعا الإسلام إلى إتمام مكارم الأخلاق، وعبّر عن ذلك رسول اللهﷺ، حيث قال: «**إنّما بعثت لأتممّ مكارم الأخلاق**»[١]. ولقد قامت المسيحية على القيم الأخلاقية، فإذا أردنا أن نعرّف دين المسيحية قلنا: إنّه دين التسامح والمحبّة، وهذا ما عبّر عنه السيد المسيح عليه السلام حينما قال: «**الله محبّة، ومن يثبت في المحبّة يثبت في الله، والله فيه**»[٢].

فهل ما يحدث الآن هو ما أراده أنبياء الله؟!

وهل لهذا الهدف تمّ إرسال الرسل؟!

إنّ التربية الدينيّة أصبحت من المسائل الملحّة؛ لأن سنخيّتها هي التربية على القيم والأخلاق السمحة التي يدعو إليها كل أديان العالم. وممّا لا شكّ فيه أنّ المقصود بالتربية الدينية ليس التعليم الدينيّ؛ لأنّ الأخير هو من اختصاص المراكز والمؤسّسات التربويّة المختلفة، بينما الحديث عن التربية أشمل؛ لأنّه يضمّ كلّ النشاطات التربوية التي هي أعمّ من المدارس والمنازل والسياسة. وبشكل عام، فإنّ التربية الدينيّة هي عمل اجتماعي عامّ يشارك فيه كلّ أطياف المجتمع.

---

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، تحقيق عبد الرحيم الربّاني الشيرازيّ، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ. ق/ ١٩٨٣م، ج١٦، باب مكارم أخلاقهﷺ...، ص٢١٠.

(٢) رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ١٦.

أمّا بالنسبة إلى التربية الدينيّة الإبراهيميّة، فهي أقرب ما تكون مشتركة، حيث إنّها ترتبط في ما بينها، بكتب سماوية وقيم مشتركة تجعل نقطة الالتقاء كبيرة على مستوى تربية القيم والأخلاق الدينيّة.

وسنحاول في هذه المقالة تقديم عمل مقارن ومختصر بين دينين إبراهيميين، هما: الإسلام، والمسيحية. وذلك بهدف الإطلالة على المشتركات بينهما ضمن إطار فلسفة التربية الدينية.

ويمكن الحديث عن أنواع متعدّدة من التربية، فهناك التربية العقلية، والاجتماعية، والأخلاقية، والعاطفية، والدينية؛ وذلك باعتبار الأبعاد المتعدّدة لشخصية الإنسان. ويكفي في وصف عظمة التربية الدينيّة أنّها أهمّ أنواع التربية، حيث إنّها تحاكي الرؤية الكونية للإنسان، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فإنّ الدين الإسلامي مليء بالمسائل والنقاط العميقة التي تتمحور حول التربية الدينيّة، على الرغم من أنّه ينبغي العمل على استخراج هذه النقاط وتوضيحها، وهذا ما يصدق على الدين المسيحيّ.

وإذا تمكّنا من تقديم دراسة مقارنة بين هذين الدينين بهدف توضيح أوجه التشابه والاختلاف تمكّنّا -بذلك- من تحديد الأنموذج التربوي المؤلّف من أجزاء وعناصر متعدّدة للتربية الدينيّة، وسيشكّل هذا الأمر المبنى الأساس للتربية الإسلامية والمسيحية.

أوّلاً: تعريف التربية الدينية (الإسلام، المسيحية):

إذا أخذنا بعين الاعتبار التعاريف المتعدّدة المقدّمة للتربية الإسلامية[1]، يمكن استخلاص النتيجة الآتية، وهي: أنّ التربية الإسلامية عبارة عن إيصال كافّة استعدادات الإنسان في كافّة الجوانب والأبعاد الشخصية؛ أي الأبعاد العقليّة، والاجتماعيّة، والعاطفيّة، والأخلاقيّة، إلى فعليّاتها. ويكون هذا الأمر سهلاً وقابلاً للتطبيق من خلال الضوابط

(١) مطهري، مرتضى: التربية والتعليم في الإسلام، طهران، نشريات صدرا، ١٣٧٦هـ. ش.

والموازين الإلهيّة، وهذا يعني أنّ الوصول إلى هذه الفعليّات لا يمكن أن يحصل خلاف تلك الضوابط والموازين، وبالتالي لا يمكن الحديث عند ذلك عن التربية؛ ويمكن القول بشكل عام: إنّ الإنسان الذي يصدق عليه مفهوم التربية، هو الإنسان المتربيّ والمهتدي في كافّة الأبعاد متقدّمة الذكر، وليس من الصحيح القول: إنّه قد تربّى تربية دينيّة فقط؛ بحيث تكون مستقلّة عن الأنواع الأخرى.

والتربية المسيحية عبارة عن إعداد الأفراد للحياة، وبما أنّ هذه الحياة ممتزجة ذاتاً بالأخلاق، فالمقصود من التربية الأخلاقيّة المسيحيّة هو ذاك الطريق الذي يُعَلِّم المتربين هذا الشكل الخاصّ من الحياة الأخلاقيّة.

ويمكن النظر إلى التربية من خلال منظارين؛ عام وخاصّ.

فالتربية بمعناها العام تشتمل على كافّة التأثيرات التي يتركها المجتمع على الفرد، حيث تتشكّل على أساس ذلك قيم الأشخاص وعقائدهم ومهاراتهم ونماذجهم السلوكية. والتربية بهذا المعنى هي الميل نحو الاجتماع (Socialization). وقد تظهر بشكل غير مخطّط له وغير عمديّ وغير مُنَظَّم. أمّا التربية في المنظار الخاصّ، فهي محدودة بالأعمال العمديّة النابعة من الوعي والإرادة، هذه الأعمال التي يمارسها الأشخاص والمؤسّسات التربويّة على الآخرين؛ بهدف التأثير فيهم عبر طرق وأساليب خاصّة.

وفي حالة كهذه يميل الأفراد وينجذبون نحو القيم والنماذج الإدراكية، والتقاليد، وأعمال الاجتماع، ...وذلك من خلال المشاركة في بعض الأعمال، كالعبادة، والصداقة مثلاً[1]. وتُظهِرُ المقارنة المتقدّمة في نوعي التربية الإسلامية والمسيحية أنّ الشخص المثقّف المتربّي تربية دينية، لا يمكن أن يكون شخصاً محصوراً ومحدوداً بتكرار بعض السلوكيّات العباديّة الموجودة

(١) ديكسترا (Dykstra)، ٢٠٠١.

في كلّ دين، بل هو شخصيّة جامعة وكاملة، حيث يكون هدفه التربية على مستوى العقل، والعاطفة، والأخلاق، فيتتبّع ذلك بشكل جدّي، ويهيّئ نفسه للحضور الفعّال في المجتمع، ويؤدّي دوره الاجتماعي بالشكل المطلوب.

ثانياً: أهداف التربية الدينية (الإسلام، المسيحية):

يمكن استلهام أهداف التربية الإسلامية من خلال تعريفها، وبالتالي القول: إنّ هدف التربية الإسلامية يكمن في تنمية كافّة استعدادات الإنسان. ومن جهة أخرى يمكن القول: إنّ هدف تربية الإنسان من وجهة نظر الإسلام هو ذاك الهدف الذي لأجله كان خلق الإنسان؛ أي العبوديّة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فإنّ توابع العبادة؛ أي الرحمة، والمغفرة، وغير ذلك من الكمالات التي تحصل للإنسان مع العبادة، هي من جملة أهداف خلق الإنسان، ولذلك فهي من جملة أهداف تربيته[٢]، ولعلّ من أبرز هذه الأهداف معرفة الإنسان الخاصّة بخالقه، وفي هذا الإطار، ف-«**إنّ عبادة الإنسان تبدأ منذ لحظة تسليمه لحركة موجوديّته الطبيعيّة المحضة إلى مرحلة معرفته بالروح الآدميّة التي توصله إلى الملكوت الإلهيّ**»[٣]. ومن هنا، فالعبادة «**عبارة عن معنى واسع جدّاً يشتمل على كافّة أجزاء حالات حياة الإنسان ولحظاتها**»[٤]. وعليه، يمكن القول: إنّ التربية هي أحد أهداف خلق الإنسان، وبالتالي إنّ كلّ خطوة عباديّة هي خطوة تربويّة، وكلّ خطوة تربويّة هي خطوة عبادية. فالتربية كالعبادة لا يمكن أن تُحَدَّ بمقطع زمانيّ ومكانيّ خاصّ، إلا أن يكون المقصود التربية الرسميّة بمعناها الخاصّ.

(١) الذاريات: ٥٦.
(٢) انظر: الطباطبائي، محمد حسين: خلاصة تعاليم الإسلام، قم المقدّسة، دفتر تبليغات اسلامى، ١٣٤٩هـ. ش.
(٣) انظر: الجعفري، محمد تقي، شناخت از ديدگاه علمى واز ديدگاه قرآن، دفتر نشر فرهنگى اسلامى، تهران، ١٣٦٠هـ. ش، ص٧٢-٧٣.
(٤) انظر: قطب، محمد، أسلوب التربية الاسلامية، ترجمة محمد مهدي جعفري، شيراز، نشر جامعة شيراز، ١٣٧٥هـ. ش.

والهدف العامّ للتربية في الدين المسيحيّ هو مزج عشق السيد المسيح في أرواح الأطفال؛ بمشاركة الألطاف الإلهية، بحيث يطّلع الطفل على العبادات والنماذج والحقائق التي نزلت على المسيح فيعرفها طبق استعداداته وظرفيّته، ويستعملها بشكل كامل في حياته اليومية، ويعمل بها بإيمان واعتقاد كبيرين، فيشعر من خلال ذلك بالرضى والسعادة[١].

والمستلزمات الأساسية للتربية الدينية المؤثّرة من وجهة نظر المسيحية عبارة عن:

١- احترام الذات.

٢- احترام الآخرين.

٣- احترام المحيط الطبيعي والثقافي.

٤- احترام الجمال.

٥- احترام الحقيقة.

إنّ هذه الأمور تشكّل الرابطة الأساسيّة للكمال، وإدراك العلاقة المتقابلة بين الأجزاء، وإزالة كلّ التناقضات، والتخلّص من كلّ نظرة جزئيّة لا تكون نتيجة لإدراك العلاقات[٢].

وعلى هذا الأساس، فكلّ واحد من الأمور المتقدّمة الذكر يمكنها أن تشكّل هدفاً للتربية الدينية في المسيحية.

فالهدف العامّ للتربية الدينية في الإسلام والمسيحية هو وصول المتربّي في البعد المعرفي إلى مرحلة الإدراك الصحيح والمعرفة الصحيحة لله والدين وكافة مكوّناتهما. وإذا حصلت هذه المعرفة عند الإنسان أثرّت على الجوانب والأبعاد الأخرى، وظهرت في سلوكّياته الشخصيّة.

ويحتوي هذا السلوك الشخصي على كافّة علاقات الفرد مع نفسه،

(1) Cronin, P. K., teaching the Religion Lesson, London, Paternoster Publication LTD, 1952.

(2) watson, B., the Effective Teaching of Religious Education, Longman, London and New York, 1993.

ومع الله، والآخرين، والطبيعة، وغير ذلك.

والقدر المسلّم فيه في التربية الإسلاميّة أنّ العبوديّة بمعناها الأصيل والخالص، عبارة عن عبادة الله الواحد، وحيث يكون كتاب الله؛ أي القرآن الكريم والسيرة النبوية هما العاملان الأساسيّان اللذان تتوجّه إليهما الأنظار. أمّا في المسيحية فيكون التوجّه نحو المسيح عليه السلام والإنجيل، حيث تكون العبودية لله، وتحت ظلّ شعاعه، حتى لو أدّى الأمر في بعض الحالات إلى عدم التطابق بين تعاليمها على مستوى العقيدة، وهذا الأمر خارج عن إطار البحث، والتطابق المقصود هنا هو التربية على القيم السمحاء.

ثالثاً: مصادر المعرفة للتربية الدينية (الإسلام، المسيحية):

يجب الانتباه إلى أنّ مصادر المعرفة في التربية الإسلامية غير منحصرة في الكتب الرسمية أو الجامعيّة وما شابه ذلك، بل تشتمل على كلّ المصادر التي تُقَدّم المعرفة للإنسان وتقرّبه من هدف الخلق – أي التعالي والكمال والعبودية – فكلّ واحد منها هو مصدر من مصادر المعرفة. ولعلّ أهمّ هذه المصادر هو وجود الإنسان، والطبيعة، والتاريخ، وكلّ المصادر والمراجع المختلفة.

وينبغي الإلفات إلى أنّ العناوين الثلاثة الأولى تشكّل المصادر الأولى للمعرفة، وتعتبر الكتب المصادر الثانويّة للمعرفة. ويمكن القول: إنّه بناءً على القرآن الكريم، فإنّ وجود الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، والأرض: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[2]، هما مظهران لآيات الله ومصدران للمعرفة، وكذلك فإنّ السير والسياحة والبحث في الأرض، كلّ ذلك يمكن أن يكون مسبّباً للتعقّل عند الإنسان وقبول الحقّ: وهي بالتالي مصادر للمعرفة. ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أنّ الله -تعالى-، كما وَضَّح آياته التشريعيّة في القرآن الكريم، جعل الآيات التكوينيّة في

(١) التين: ٤.
(٢) الذاريات: ٢٠.

كلّ مساحة من مساحات الطبيعة والوجود. وكما أنّ آيات القرآن الكريم مقدّسة ومحترمة، كذلك آيات الله في الطبيعة؛ أي في كافّة أنحاء الوجود والطبيعة؛ هي مقدّسة ومحترمة. وإنّ إدراك آيات القرآن وفهمها يحتاج إلى تفكّر وتدبّر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[1]، وكذلك إدراك الآيات الإلهية في الطبيعة والاعتبار منها يتطلّب تفكّراً وتدبّراً وبصيرة: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصّلت: ٥٣)

ويمكن الحديث عن مجالات قيميّة أربعة في ما يتعلّق بالتربية والتعليم من وجهة نظر المسيحية:

النفس: الاعتراف بوجود قيمة لأنفسنا؛ بصفتنا أشخاصاً منحصرين بأنفسنا وقادرين على التطوّر والنموّ المعنوي، والأخلاقي، والفعلي، والجسماني.

العلاقات: الاعتراف بوجود قيمة للآخرين بأنفسهم، وليس من أجل ما يتملّكون، أو ما يمكنهم القيام به. ويعتبر هذا الأمر قيمة على أساس أنّ العلاقة بمنزلة المبنى الأساس للتطوّر وكمال الآخرين وأنفسنا والمجتمع.

المجتمع: الاعتقاد بقيمة الحقيقة، والعدل، وحقوق الإنسان، والقوانين، والجهود الجماعيّة في طريق الخير والتطوّر الجماعيّ. وكذلك بقيمة العائلة التي هي مصدر المحبّة والأمن لكافّة الأفراد، وبقيمة المجتمع الذي يعيش فيه الناس حالة اهتمام بعضهم بالبعض الآخر.

البيئة: الاعتقاد بقيمة المجتمع سواء أكان ذاك المجتمع الطبيعي او المجتمع الذي أسّسه البشر؛ لأنّه يشكّل المبنى الأساس للحياة ومصدر المحبّة والصداقة[2].

وقد أمر الله تعالى كافّة أجزاء عالم الوجود أن تكون مفيدة، وكان

(١) النساء: ٨٢.

(٢) نقلاً عن: (باتري) Battery،

Bailey, R., Teaching Values & Citizenship Across the Curriculum, Great Britain, Educating Children for the World Rutledge Flamer, 2005.

البشر هم المخاطبون الأساسيون، حيث ينبغي لهم أن يكونوا مفيدين، ويعملوا على إعمار الأرض[١].

بناءً على ما تقدّم، يمكن القول: إنّ التربية المؤثّرة التي ينبغي إجراءها؛ سواء في الرؤية الإسلاميّة أم المسيحيّة، هي ذاك المضمون المستلهم من مصادر المعرفة، وبشكل أدقّ، هي تلك المصادر الكامنة في قالب المضامين المفيدة المتعدّدة المؤثّرة في إرشاد الأفراد والأخذ بيدهم نحو تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية.

رابعاً: مقدّمات المعرفة (الإسلام، المسيحية):

يقوم القرآن الكريم على أساس الهداية والرحمة: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢]، ولكنّ الحصول على هذه الهداية يتطلّب نوعاً من الإعداد الذاتي. مثال ذلك: ينبغي أن يكون الشخص من أهل اليقين: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣]، وأهل التقوى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وأهل الإيمان: ﴿... هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥]. وأفراد كهؤلاء سيهتدون بالتأكيد إلى أفضل الكلام، وإلى سبيل الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٦]. حتى أنّ حقيقة العلم تُعْطى من قبل الله تعالى للأشخاص أصحاب التقوى الإلهية: ﴿... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧]؛ وكذلك إعطاء العلم والمعرفة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ

(1) Genesis : 22.

(٢) الجاثية: ٢٠.
(٣) الجاثية: ٢٠.
(٤) البقرة: ٢.
(٥) الأعراف: ٢٠٣.
(٦) الحج: ٢٤.
(٧) البقرة: ٢٨٢.

﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، ولكن ينبغي وجود الاستعداد اللازم لكسب العلم ووجود جهد كافٍ في هذا الإطار.إنّ القلوب الصدئة التي تعلوها حجب المعاصي، ستكون محرومة من الحصول على الحقيقة والهداية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2]، ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[3]، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾[4]، وأمّا الأهمّيّة الكبيرة في هذا المسير فهي تكمن في الاتصال والتناسق بين المعرفة والإيمان: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[5]، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[6]، ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[7]، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[8]، ، وبين المعرفة والعمل: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[9]، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[10].

(١) البقرة: ٣٢.
(٢) الزمر، ٢٢.
(٣) الحج، ٤٦.
(٤) الكهف، ٥٧.
(٥) النساء، ١٦٢.
(٦) الحج، ٥٤.
(٧) الجاثية، ٢٠.
(٨) الأعراف، ٥٢.
(٩) البقرة، ٤٤.
(١٠) الحجر، ٩٩.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الموارد المتنوّعة والمتعدّدة والموجودة في أقسام مختلفة من الإنجيل، يمكن عند ذلك إدراك أنّ الأشخاص الذين يحصلون على العلم الحقيقيّ هم الذين عملوا على تحصيل اللياقة المعنويّة لذلك[١]، والعلم يُعطَى للأشخاص أصحاب الفهم والإدراك[٢]. ومن هنا، فالمؤمنون الذين حصلوا على اللياقة المعنويّة وعلى الفهم الضروريّ، هم الذين سيحصلون على العلم الحقيقي[٣].

ويمكن أن ندرك من خلال ذلك أنّ العلم والمقدرة على الحكم الحقيقيّ، عبارة عن أمور سيعطيها الله – تعالى- لعباده الصالحين وأمّا الجاهلون فسيكونون من المحرومين من حكمة كهذه وعلم كهذا[٤]. إذا كان تدريس المعلّمين لا يعتمد على محوريّة الله -تعالى-، فلن يحصلوا على أيّ حقيقة، بل سيكونون أصحاب ميل نحو الجدالات الظاهريّة، والنزاعات اللفظيّة، وهذا لا يترتّب عليه سوى الحسد والمعصيّة[٥]. بناءً على ما تقدّم، يمكن القول: إنّ المعرفة الحقيقية في التعليم والتربية من وجهة نظر الإسلام والمسيحية تُعطَى للأشخاص الذين مهّدوا لذلك وأعدّوا العدّة له، ولا يحصل هذا الإعداد والتمهيد إلا في إطار الإيمان والأعمال الصالحة.

خامساً: التعاليم الدينية:

من جملة وظائف المعلّم في التربية الدينيّة الإسلاميّة تهيئة الأجواء للمتعلّم؛ ليحصل من العلم والمعرفة الكافيين والعاملين على القيم الدينية. وهذه المعرفة – التي هي في الواقع ذات مقام ومرتبة أعلى من العلم الظاهريّ والسطحيّ – في الأفراد على شكل معرفة جامعة وعميقة،

(1) Isa, 42:14, Isa, 28:9.
(2) Dan. 2:21.
(3) Ps. 119:66.
(4) Prov. 1:7.
(5) 6 Trimothy 2:1425 – I Trimothy.

وبصيرة مؤثّرة، وعلى أثر ذلك يصبح فهم الأفراد وقبولهم لهذه القيم أكثر دقّة وواقعيّة، فيتعلّقون ويعتقدون بها؛ فتحصل على أثر ذلك مقدّمات التغيير السلوكي لديهم، ثمّ بعد ذلك يحاولون العمل للقيام بالأعمال تحت رقابة المعلم والمربّي وهدايته، ويُدخِلُون تلك القيم إلى سلوكيّاتهم، ويصبحون من العاملين بها، فتتبلور شخصيّاتهم على أساسها؛ أي: إنّ شخصياتهم تصبح مظهر تلك القيم. ويلاحظ في هذه الحالات أنّ الإيمان والاعتقاد بالقيم مسبوقان بالرؤية والمعرفة الكاملة بها. ومن جهة أخرى، فإنّ العمل بالقيم يتطلّب رؤية ومعرفة، وبعد ذلك إيماناً واعتقاداً صلباً[1].

وتتّفق الرؤية المسيحيّة في خصوص التربية والتعليم على نقاط خمس: تعليم القيم والتربية عليها أمر عمدي وهادف، غير موصد الأبواب، بل هو مفتوح. وفي هذا النوع من التعليم والتربية يلعب المربّون دور المبسّط والمسهّل في تَعَلّم القيم. والمعلّمون هم المنظّمون للبيئة التعليمية المطلوبة، و«**النظرية**» ذات أهمّيّة كبيرة في هذا الصدد[2]. أمّا فهرس القيم الموجود في الدائرة الدينية للتربية الأخلاقية فهو عبارة عن: العدالة، والإنصاف، والتعاون، والمساعدة، وقبول المسؤولية، وحسن اتّخاذ القرارات، والإيمان، والأمل، ومحبة الله والجيران والنفس التي هي محبة لله، ومحبة الله تدلّ على القيم الغائية. ومحبة الذات تتضمّن القيم الشخصية والقيم القائمة على اللياقات الفردية.

ويوحي المتخصّصون والمربّون الدينيون بتدريس الدين؛ باعتباره إيماناً حيوياً متحرّكاً؛ لذلك ينبغي عليهم تدريس القيم.

وينبغي تدريس الحقائق الدينية، بحيث تظهر في العمل، فلا يكفي

(1) Alavi, H. R., Shared Religious Foundatons of Education: islam & christianity, Qom, Ansarian, 2006.

(2) Barber, L. W., Teaching Christian values, Birmingham, Alabama, Religious education press, 1984.

أن نعلّم الأطفال ماهيّة الصلاة، بل ينبغي أن نعلّمهم كيف يصلّون. ولا يكفي أن نخبرهم عن ماهيّة المعصية وإرشادهم إلى الأوامر الإلهية، بل يجب أن نعلّمهم كيف يجتنبون المعاصي، ويلتزمون بالأوامر الإلهية. وأمّا الهدف من هذا التعليم والتربية، فيكمن في الوصول إلى شخص مسيحيّ يظهر الإيمان، وتظهر المعارف الدينيّة في أماله في تصرّفاته اليوميّة[١]، والتديّن في الأصل هو امتلاك نماذج سلوكية خاصّة قد يمتلكها الأفراد من خلال التعليم، أو من خلال التجارب الخاصّة، ومن جملة ذلك تجارب الأشخاص الآخرين، ثمّ يقومون بتطويرها وتنميتها في ذواتهم[٢]؛ لذلك ينبغي أن يقتدي الطلاب بمعلّميهم، ومن الضروري أن يعمل الطلاب بالأمور الحسنة التي يتكلّمون بها ويسمعونها: «**لا تصغي إلى العبارة التي تخدع بها نفسك، واعمل بما يقال**»[٣]. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، حيث إنّنا لا نجد وعد الله بالجنّة في آياته إلا من خلال اقتران الإيمان بالعمل الصالح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٤]. وقد كررّ هذا الاقتران في عدّة سور مباركة.

إنّ المسيحي المتديّن هو الذي يمتلك أحكاماً أخلاقية صحيحة، وهو الملتزم عملياً بالأعمال الدينية الهامّة[٥]. ويمكن أن نستنبط من الإنجيل أنّ وظيفة المعلّم هداية الطلاب إلى الطريق الصحيح[٦]، والطريق السليم[٧]، وإلى كسب رضا الله[٨]، وفي هذا النوع من التعليم والتربية

(1) Cronim, P. k, teaching the Religion, Lesson, London, Paternoster Publication LTD, 1952, 7.

(٢) آستلي، نقلاً عن:

Astley, J. &:L.J. Francis & C. Crowde, Theological Perspectives on Christian Formation, Grand Rapids, Michigan, W. B. Eerdmans Publishing company, 1996.

(3) James 2:19

(٤) لقمان: ٨.

(5) Peterson, M.L., Philosophy of Education, Leicester, England, 1986.

(6) 1Samuel 12:23

(7) 1King 6:36

(8) 1 Thessalonims 4:1

يمكن اعتبار التعليم نشاطاً دينياً.

وينبغي على المسيحي أن يعتبر التعلّم، والتخصّص، والتحقيق بمنزلة الأمور الواحدة ذات القيمة والفضيلة العالية؛ بصفتها تجلّياً لمحبّة الله والمعنويّات.

فالمتعلّم هو عبد استسلم للحقيقة؛ لذلك عليه أن يظهر المراتب العليا من التسليم في العمل[١]. والتدريس والتعليم القائمان على العواطف والعلائق هما على أهمّيّة كبيرة، وأمّا حبّ الحقيقة، والجمال، والعلاقات المتقابلة، فهو عبارة عن تلك الطاقة الإنسانية التي تربطنا بعضنا بالبعض الآخر من ناحية العواطف. فالحبّ هو أمر غير محدود، ولا يحتاج إلى أيّ نوع من الأجر، وعندما نحبّ أمراً فإنّنا نقوم بتكليفنا معه بشكل أفضل. إنّ هذه المحبة والصداقة التي تربط الموضوع الدراسي بالمعلّم، هي محبّة تعتمد على إشراك الطلاب في المواضيع الدراسية التي يتقنها المعلم، وهي المحبّة التي يستعين بها المعلّم لإفهام الطلاب المسائل التي يتناولها[٢]. فالمعلم الذي يتقن موضوع درسه جيداً، ينبغي أن يقدّمه للطالب بنيّة تعريفه بصديق حميم. وطبعاً، ينبغي على الطلاب أن يدركوا لماذا يعتقد المعلّم بقيمة ذاك الموضوع الدراسي؟ وكيف ساهم ذاك الموضوع في تغيير حياة المعلّم؟ وعلى هذا الأساس ينبغي على المعلّم أن يعتبر الطلاب أصدقاءً بالقوّة[٣].

وتحكي المقارنة المتقدّمة أنّ التربية في الإسلام والمسيحية هي تربية قيميّة تعتمد على تعليم القيم. فالمعلّم في الحصص الدراسية المتعلّقة بالتربية الدينية هو في كلّ لحظة عبارة عن معلّم وعن مُرَبٍّ. وبعبارة أخرى، يبرز دور المعلّم في كيفية تدريسه الذي يدفع الطلاب لتحصيل المعارف الجامعة والعميقة، وإلى إيجاد الدافع لديهم لتحصيل

(1) 1997 مارسدن, Marsden.

(2) Astley, J.. The Philosophy of Christian Religious Education, Birmingham, Alabama, Reeligious education press, 1994.

(٣) (بالمر)Palmer، نقلاً عن: بيل، ٢٠٠٩.

القيم الدينية والأخلاقية، وهو الذي يدفعهم إلى أن يزيّنوا أنفسهم بتلك القيم عملياً، وأن يطبّقوا القيم في تصرّفاتهم. ويساهم هذا الأمر؛ أي نقل القيم إلى ساحة العمل في مزيد من الفهم، والحصول على المزيد من القيم.

فالتربية في الإسلام والمسيحية تؤكّد على إيصال استعدادات الإنسان إلى فعليّاتها، وهي التي تأخذ بعين الاعتبار كافّة الجوانب الفرديّة والجمعيّة للشخص، وتهيئته للحضور الفعّال والمؤثّر في المجتمع. ولا يمكن اختصار التربية الدينيّة في الإسلام والمسيحية، في التربية الرسميّة الكلاسيكيّة، بل هي تشمل التربية التي تدرك أكبر مقدار من الأثر على المتربّين. وينبغي العمل في كلّ واحد من نوعي التربية على تنمية الجوانب المعرفيّة والعاطفيّة للشخص. وبهذا النحو يمكن أن يظهر الأمل في تطبيق الأمور التي يعتقد ويؤمن بها في سلوكه. وفي هذه الأجواء يمكن الإحساس بالرضا والقناعة؛ بسبب تلك الرؤية، وذاك السلوك الديني المتوقّع من الشخص.

إنّ التربية الدينية في الإسلام والمسيحيّة، تعتمد على تنمية الحواس والعقل والقلب لدى الإنسان؛ لذلك ينبغي عند اختيار الأساليب والفنون لتدريس الدين، البحث عن الأساليب والفنون التي تؤدّي إلى تنمية هذه الأدوات المعرفية. وعلى هذا الأساس فإنّ الاستفادة التلفيقية من أكثر الأساليب التدريسية، واستعمال الفنون المختصّة؛ بكلّ أسلوب يحوز على أهمّيّة كبيرة، وإذا كان المطلوب الاستفادة من أسلوب تدريس «**المحاضرة**» فإنّه يجب الابتعاد قدر المستطاع عن الأساليب التي تؤدّي إلى تلقين المطالب الدينية وتحميلها للطلاب حيث ينبغي أن يتوجّه الطالب انطلاقاً من التفكّر والتعقّل، وتحت نظارة الأستاذ الواعي وهدايته، المهتمّ والعطوف. ومن الهامّ جدّاً جعل الطالب واثقاً وعلى اطمئنان كبير من صحّة المفاهيم والمواضيع الدينية ومدى اعتبارهما.

وينبغي في عملية التخطيط للمضامين الدراسية في الإسلام والمسيحية لفت النظر إلى أهمّيّة إدخال المطالب المفيدة التي ترتبط بوجود الإنسان والأفراد والمجتمع والبيئة المحيطة. وهنا ينبغي اللفت -أيضاً- إلى التاريخ والطبيعة[1]، وإلى المجتمعات ككلّ، ونبذ التفرقة، وعدم الاكتفاء باستعمال الأساليب الدراسيّة المناسبة لتوجيه الأفراد نحو الأهداف التربويّة - الدينيّة الأصيلة. ومن الضروري والهامّ جدّاً في هذا الإطار أن يعمل الطلاب على تحصيل اللياقة المعنويّة الضروريّة؛ من أجل تحصيل التربية الدينيّة الحقيقيّة.

على هذا يمكن استخلاص النتائج التالية:

إنّ الابتعاد عن الدين كما يدّعي بعض العلمانيين «**المتطرفين**» ليس هو الحلّ، بل إنّ التديّن والالتزام بالأديان السماوية هو الطريق الأمثل للتقارب في ما بين الأديان، بل إنّه الحلّ الأوحد؛ إذ إنّ الأديان السماوية هي التي تقوم على الدعوة إلى التسامح وعدم التناحر على أساس مذهبي وديني، حيث لا إكراه في الدين.

إنّ الفهم الخاطئ للدين سوف يجرّ حتماً إلى التحجّر والتطرّف الذي قد يؤدّي إلى التكفير وإهدار الدم حتى ضمن الدين الواحد.

إذن، الدين بمعنى التديّن لا بمعنى المعرفة الدينية هو أصل ما تقدّم وفلسفته، حيث إنّ المطلوب هو العود إلى القيم الدينية السماوية وهي التي تقوم على الأخلاق. وهذا ما نجده بيّناً في الدين المسيحي والإسلام الذي أتى به الرسول محمد ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق.

(1) Alavi, H.R., Shared Religious Foundatons of Education: isIam & Christianity, Qom, Ansariyan, 2006.